# اللطف في القرآن الكريم
# دراسة موضوعية

م.د غزال صالح غزال

# Kindness in the Holy Quran
# Objective study

***Ph. D. Ghazal Salah Ghazal***

Kindness in the manifestation of mysterious and hidden meanings, The nice is God the world in the depths of things and small, And that the gentle God is aware of the hidden gems that are not aware of the creatures, eyes which is gentle and softens that their eyes understand them and the comrade with his creatures and improved, And that piety with people earns the hard hearts and give them soft words.

# La bonté dans le noble Coran
# Étude objective

**M.A Ghazal Saleh Ghazal…**

Cette recherche explique que la mélodie signifie la déclaration des sens mystérieux et cachés, et que Allah Le Bienvaillant contrôle les belles essences invisibles pour les créations c'est à cause de sa climence et bienvaillance sur eux, et que la bonté avec les gens et les beaux mots gagnent les cœurs durs.

بسم الله الرحمن الرحيم

## ملخص البحث:

إن اللطف هو بيان المعاني الغامضة والخفية، واللطيف هو الله العالم بخفايا الأمور ودقائقها، وأن الله اللطيف يدرك الجواهر اللطيفة التي لا تدركها أبصار المخلوقات وهو اللطيف عن أن تدركه أبصارهم وهو الرفيق بمخلوقاته والمحسن إليهم، وأن التلطف مع الناس يكسب القلوب القاسية ويلينها بالكلام الرقيق.

## المقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيد الأنام، وعلى آله وأصحابه الكرام، ومن تبعهم من عباد الله الصالحين بإحسان إلى يوم القيام.

وبعد: فإن القرآن الكريم نزل هادياً وبشيراً ونذيراً، من قرأه وتدبره، فتح الله قلبه بالعلم، **قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾**(١)، فخير ما يبذل فيه الجهد هو الوقوف على أسراره، وإظهار إعجازه وبيان أحكامه.

لذا اخترت في هذا البحث اللطف في القرآن الكريم دراسة موضوعية ، لأهمية هذا الموضوع، من خلال ارتباطه بأجل وأشرف الموضوعات واقدسها وأعلاها بلاغة وفصاحة، ألا وهو كلام الله تعالى.

وقد قسمت البحث على مبحثين، تحدثت في المبحث الأول عن مفهوم اللطف لغةً واصطلاحاً وأهميته وآيات اللطف في القرآن الكريم، وتحدثت في المبحث الثاني عن لطف الخالق في علمه وإحسانه، ولطف المخلوق مع الناس، وختمت البحث بملخص مع أهم ما توصلت إليه من نتائج خلال دراستي للموضوع، والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجه الكريم، ويغفر لي ولوالديَّ يوم الدين إنه هو الغفور الرحيم، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

**الباحث**

**م. د. غزال صالح غزال**

---

(١) سورة محمد – الآية: ٢٤.

# المبحث الأول

# مفهوم اللطف

## المطلب الأول: اللطف لغة:

اللطف في اللغة مأخوذ من مادةِ لطف: يدل على البرِّ والتَّكَرُّمِ، والرفيق والنحيف، (اللَّطَفُ: البِرُّ والتَّكْرِمةُ، وأمٌّ لطيفةٌ بولَدها تُلْطِفُ إلطافاً، واللَّطَفُ: من طُرَفِ التُّحَف ما أَلطَفْت به أخاك ليَعْرِفَ به بِرَّك، وأنا لطيفٌ بهذا الأمر، أي: رفيقٌ بمُداراته، واللّطيف: الشّيء الذي لا يتجافى، من الكلام وغيره، والعود ونحوه، كلامٌ لطيفٌ، وعودٌ لطيفٌ، لَطُفَ لَطافةً، وإنّ فيها لَلَطافةَ خَلْق: غير جسيمة)[١] .

ويدل على الغامض والخفي، (اللطيف: الذي يُوصِلُ إليكَ أَرَبَكَ في رِفْقٍ ، واللطيف من الكلام: ما غَمُضَ معناه وخَفِي)[٢] .

ويدل على الحيلة للوصول إلى ما خفي، (ومن المجاز...، تلطفتُ بفلانٍ: احتلتُ له حتى اطّلعتُ على أسراره)[٣] .

ويدل على الرأْفةِ والقرْبِ والرِفْق، (اللَطْف بالضم لغةً الرأفةُ والرفقُ ...، وبالفتح قُرْب المنزلة)[٤] .

---

(١) العين– للفراهيدي(ت١٧٥هـ)– تحقيق: د. مهدي المخزومي– دار ومكتبة الهلال– باب اللام والطاء والفاء– جذر: ل ط ف: ٤٢٩/٧، وينظر مقاييس اللغة– لابن فارس(ت٣٩٥هـ) – تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون– اتحاد الكتاب العرب– ٢٠٠٢م– باب اللام والطاء وما يثلثهما– جذر: لطف: ٢٠١/٥– ومختار الصحاح– لمحمد الرازي(ت بعد٦٦٦ه)– تحقيق: محمود خاط– مكتبة لبنان– بيروت – ١٩٩٥م– باب اللام– جذر: لطف: ١ / ٦١٢ .

(٢) تهذيب اللغة– للأزهري(ت٣٧٠هـ)– تحقيق: عبدالسلام محمد هارون– الدَّار المصرية– ١٣٨٤هـ– مادة : لطف: ١٣/ ٣٤٧، وينظر المعجم الوسيط– لإبراهيم مصطفى– وأحمد الزيات– وحامد عبد القادر–ومحمد النجار– تحقيق: مجمع اللغة العربية– دار الدعوة – باب اللام– مادة: لطف: ٢ / ٨٢٦ .

(٣) أساس البلاغة– للزمخشري(ت٥٣٨هـ) – دار صادر– بيروت ١٣٩٩هـ– كتاب اللام– مادة: ل ط ف: ٤٠٩، وينظر المعجم الوسيط– باب اللام– مادة: لطف: ٢ / ٨٢٦ .

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف– للمناوي(ت١٠٣١ هـ)– تحقيق: د. محمد رضوان الداية – دار الفكر– بيروت– دمشق–ط/١– ١٤١٠ه– باب اللام– فصل: لطف: ١ / ٦٢٠.

ويدل على التوفيق والعصمة والهدية، (لَطُفَ الشَّيْءُ مِنْ بَابِ ظَرُفَ، أَيْ: صَغُرَ فَهُوَ لَطِيفٌ، وَاللُّطْفُ فِي الْعَمَلِ الرِّفْقُ فِيهِ، وَاللُّطْفُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ وَالْعِصْمَةُ، وَأَلْطَفَهُ بِكَذَا بَرَّهُ بِهِ، وَالِاسْمُ اللَّطَفُ بِفَتْحَتَيْنِ يُقَالُ: جَاءَتْنَا لَطَفَةٌ مِنْ فُلَانٍ بِفَتْحَتَيْنِ أَيْ: هَدِيَّةٌ)[١] .

ويدل على الصحبة والحفاوة والدقيق والصغير، (اللَّطِيف: هُوَ الَّذِي اجْتَمَعَ لَهُ الرِّفق فِي الْفِعْلِ، والعلمُ بِدَقَائِقَ الْمَصَالِحِ وَإِيصَالُهَا إِلَى مَنْ قَدَّرَهَا لَهُ مِنْ خَلْقِهِ، يُقَالُ: لَطَفَ بِهِ وَلَهُ، بِالْفَتْحِ يَلْطُفُ لُطْفاً إِذَا رَفَقَ بِهِ، فأَما لَطُفَ بِالضَّمِّ يَلْطُفُ فَمَعْنَاهُ: صغُر ودقَّ ...، وَيُقَالُ: لَطَفَ اللَّهُ لَكَ أَي: أَوْصَل إِلَيْكَ مَا تُحِب برِفْق ...، واللُّطْف واللَّطَف: الْبِرُّ والتَّكْرمة والتحَفِّي لَطف بِهِ لُطْفاً ولَطافة وأَلْطَفَهُ وأَلْطَفْتُهُ أَتحَفْته، وأَلْطَفَه بِكَذَا أَي: بَرَّه بِهِ، وَالِاسْمُ اللَّطَفُ بِالتَّحْرِيكِ، يُقَالُ: جَاءَتْنَا لَطَفَةٌ مِنْ فُلَانٍ أَي: هَدية، وَهَؤُلَاءِ لَطَفُ فُلَانٍ أَي: أَصحابه وأَهله الَّذِينَ يُلطفونه)[٢]

ويدل على الرقة واللين، ( لطُفَ الشيء لطفاً ولطافةً رَقَّ ضد كَثُفَ ... لاطفَهُ باره ورفق بِهِ وألان لَهُ القَوْل)[٣] .

ومما سبق يتضح لنا أنّ اللطف في اللغةِ يدل على الترفق والتكرم والبر، والرقة واللين والرأفة والرفق والرفيق ، والقرب والصحبة والتوفيق ، والحفاوة والدقيق والصغير والنحيف، والغامض والخفي والحيلة، والفطنة والذكاء، والعصمة والهدية.

(١) مختار الصحاح – لمحمد الرازي– باب اللام – جذر: لطف: ١ / ٦١٢.

(٢) لسان العرب– لابن منظور– جذر: لطف: ٩ / ٣١٦ .

(٣) المعجم الوسيط – باب اللام – مادة: لطف: ٢ / ٨٢٦ .

## المطلب الثاني: اللطف اصطلاحاً:

هو بيان المعاني الغامضة والخفية، (واللطيف من الكلام: ما غمض معناه وخفي)[١]، أو هو بيان الإشارات الدقيقة المعاني التي تفهم من خلال العبارات، (اللطيفة: كل إشارة دقيقة المعنى تلوح للفهم، لا تسعها العبارة كعلوم الأذواق)[٢] .

وجاء اسم اللطيف من الأسماء الحسنى بمعنى: البار بعباده والمحسن إليهم والرفيق بهم، في **قوله تعالى:** ﴿ **ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ** ﴾[٣]، (اللطيف من الأسماء الحسنى معناه: البَرُّ بعباده، المحسن إلى خلقه بإيصال المنافع إليهم برفق)[٤]، وجاء بمعنى: العالم بما خفي ودق من الأمور ، **في قوله تعالى:** ﴿ **لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ** ﴾[٥]، (اللطيف معناه: العالم بخفايا الأمور ودقائقها، فيكون من صفات الذات )[٦].

**المطلب الثالث: اهمية اللطف:**

وبلطفه أنزل الكتاب المشتمل على هذه الدلائل اللطيفة، وبلطفه بعبده المؤمن، أن هداه إلى الخير هداية لا تخطر بباله، بما يسر له من الأسباب الداعية إلى ذلك، من فطرته على محبة الحق والانقياد له، وإرساله تعالى لملائكته الكرام، أن يثبتوا عباده المؤمنين، ويحثوهم على الخير، ولتنبيهه الغافل بأنك تتعامل مع إله قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يغيب عنه شيء، وعندما يعلم أن من عصاه عالماً به وهو قادر عليه، لا يعود إلى معصيته، فاللطيف يوصل بره وإحسانه إلى العبد من حيث لا يشعر، لطيف التدبير يجعل الخير من إرادة غيره، ويجعل من النقمة نعمة،

---

(١) الكليات- لأبى البقاء الحسيني(ت١٠٩٤هـ)- تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري- مؤسسة الرسالة- بيروت- ١٩٩٨م – فصل: اللام- مادة: لطف: ١ / ١٢٧٧ .

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف – للمناوي – باب اللام – فصل: لطف: ١ / ٦٢٠ .

(٣) سورة الشورى – الآية: ١٩ .

(٤) الكليات – لأبى البقاء – فصل: اللام – مادة: لطف: ١ / ١٢٧٧.

(٥) سورة الأنعام – الآية: ١٠٣.

(٦) الكليات – لأبى البقاء – فصل: اللام – مادة: لطف: ١ / ١٢٧٧ .

ويرفعهم من ناحية المكاره التي تلحقهم، وبلطفه يسوق إلى عبده الخير، ويدفع عنه الشر، بطرق لطيفة تخفى على العباد، وبلطفه ورفقه بهم يسر للمخلوقات الرزق، ثم ما خص به المؤمنين من رزق الآخرة، وبلطفه أخر عن الكفار العذاب إلى يوم القيامة، وبلطفه أحسن الحياة والعقل والفهم، ودفع أكثر الآفات والبليات عنهم، يخبر تعالى بلطفه بعباده ليعرفوه ويحبوه، ويتعرضوا للطفه وكرمه، واللطف بين الناس يكسب القلوب القاسية والعاصية، ويلينها بالكلام الطيب الرقيق، ويقلل المشاحنات والمخاصمات، ويذهب الأحقاد، ويديم المودة والتواصل مع الخلق والخالق، فيستقيم أهل المعاصي، فيعمُّ الصلاح بين الأسر والمجتمع.

## آيات اللطف في القرآن الكريم

الآيات التي وردت فيها مادة اللطف ومشتقاتها ثمان هي:

١ــ قال الله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(١)

٢ــ قال الله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٢) .

٣ــ قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾(٣) .

٤ــ قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۚ إِنَّ

(١) سورة الأنعام- الآية: ١٠٣.

(٢) سورة يوسف- الآية: ١٠٠.

(٣) سورة الكهف- الآيتان: ١٩.

﴿ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[١].

٥ــ قال الله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾[٢]

٦ــ قال الله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[٣] .

٧ــ قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ . ٨ــ قال الله تعالى: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾[٤] .

# المبحث الثاني

# لطف الخالق ولطف المخلوق

## المطلب الأول: لطفه في علمه:

### أولاً: إحاطته بالخلق:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾[٥] أما مناسبة الآية لما قبلها فلما ذكر أن كل والد وكل شريك لا بد أن يكون مجانساً ومشابهاً لولده وشريكه بوجه من الوجوه، في قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾[٦]، ذكر بعدها

(١) سورة الحج- الآية: ٦٣.
(٢) سورة لقمان- الآية: ١٦.
(٣) سورة الأحزاب- الآية: ٣٤.
(٤) سورة الشورى- الآية: ١٩ ، وسورة الملك- الآية: ١٤.
(٥) سورة الأنعام- الآية: ١٠٣.
(٦) سورة الأنعام- الآية: ١٠١-١٠٢.

منزهاً نفسه تعالى عن الولد، أن من جعلتموه ولده أو شريكه هو مُدرَك ومحاط بأبصاركم، كعيسى عليه السلام وغيره من البشر، والحجر والنجم والصنم، وأما الملائكة والجن فتشملهم المشاهدة والإحاطة، كما أخبر عنهم الأنبياء بأنهم عباد الله كغيرهم، وأنهم يُدركون بالأبصار، وأما هذا الإله العزيز فهو غير مُدرك لكم بالبصر كما يُدرك غيره إدراكاً تاماً، لأنه سبحانه متعال عن أن يحاط به البصر(١).

وأما مناسبة الآية لما بعدها فلما قرر وعظم البيانات الظاهرة والدلائل القاهرة على وحدانيته وإحاطته بالمخلوقات، عاد إلى تقرير وتعظيم أمر الدعوى إليها وتبليغها(٢)، فقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾(٣).

وفي الآية توبيخ وتقريع ورد قاطع على المشركين الذين جعلوا الجن شركاء لله، ونسبوا لله البنين والبنات جهلاً منهم بحقيقة الله، فهو اللطيف الرفيق بعباده، والمتولي أمورهم ورزقهم، والخبير بهم المطلع على جميع أحوالهم، للدلالة على الترهيب والتخويف بأنه رقيب من حيث لا يُرى فيجب أن يخاف ويحذر، ولتأكيد تنزيهه وتعاليه عما وصفه به المشركون، ولبيان أنه لا تراه الأبصار المعبودة وهي أبصار أهل الدنيا لجلاله وكبريائه وعظمته، فكيف يكون له ولد؟(٤).

معنى الإدراك في الآية الإحاطة بكنه الشيء وحقيقته، والوصول إلى أعماقه وحوزه من جميع جهاته، وذلك كله محال الوصول إليه من قبل المخلوق، لأنه من أوصاف الله تعالى الذاتية، الذي يرى جميع المرئيات، ويبصر جميع المبصرات، لا يخفى عليه شيء منها، ويعلم حقيقتها ومطلع على ماهيتها، فهو تعالى لا تدركه أبصار المبصرين وهو يدركها، فالأبصار المؤمنة ترى خالقها جل جلاله يوم

(١) ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور– للبقاعي: ٧/ ٢١٩– ٢٢٠.

(٢) ينظر مفاتح الغيب – الرازي :١٣/ ١٠٤– ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور– للبقاعي: ٧/ ٢٢٢.

(٣) سورة الأنعام– الآية: ١٠٤.

(٤) ينظر التفسير الوسيط – لطنطاوي: ٥/ ١٤٧– والتفسير المنير – للزحيلي: ٧/ ٣١٦.

القيامة، ولكن لاتحيط به من جميع الجهات، لأنها ترى ما يقابلها فقط، كما أن القلوب تعرفه ولا تحيط به علماً، إشارةً إلى أنه منزه عن سمات الحدوث ومنها الإدراك، كما تُدرَك سائر المخلوقات والرؤية ثابتة، لعظمته وجلاله وتعاليه عن صفاتهم، فلا يحده شيء في الوجود، وسع كرسيه السماوات والأرض وهو السميع العليم[١]، (ولماذا لا تدركه الأبصار؟ لأن البصر آلة إدراك لها قانونها بأن ينعكس الشعاع من المرئي إلى الرائي ويحدده، فلو أن الأبصار تدركه لحددته، وأصبح من يراه قادراً عليه، ولصار مقدوراً لكم؛ لأنه دخل فيما يدرك، فلو أنك أدركت الله لكان الله مقدوراً لبصرك، والقادر لا ينقلب مقدوراً ابداً، إذن فمن عظمته أنه لا يُدْرَك: أنت قد ترى الشمس، ولكن أتدعي أنك أدركتها؟ لا، لأن الإدراك معناه الإحاطة، وحين يقال:أدركه أي: لم يفلت منه...، إذن مُدرك يعني: محاطاً به، فإذا أحاطت الأبصار بالله انقلب البصر قادراً، وصار الله مقدورا عليه. والقادر بذاته كما قلنا لا ينقلب مقدورا لخلقه أبداً)[٢]، **قال تعالى:** ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾[٣].

ويدل على عدم معرفة المخلوقات حقيقة الجواهر اللطيفة، التي ركبها الله تعالى في حواس أبصارهم، فتدرك بها المبصرات، وكيف صاروا مبصرين بأعينهم دون سائر أعضائهم؟، فلم يحيطوا بعلمه، فكيف يحيطون بخالقهم، فالله تعالى بلطف إدراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة، التي لا تدركها أبصار المخلوقات، فهو اللطيف يلطف عن أن تدركه أبصارهم، وهو الخبير بكل لطيف فهو يدرك تلك الأبصار، ولا تلطف عن إدراكه، فهو العليم بخواطر النفوس وخلجات الأفئدة، وهو

(١) ينظر المحرر الوجيز– لابن عطية: ٢/ ٣٣٠– والجامع لأحكام القرآن – للقرطبي: ٥٤/٧– ولباب التأويل في معاني التنزيل – للخازن: ٢/ ١٤٢– ١٤٣.

(٢) تفسير الشعراوي: ٦/ ٣٨٤١.

(٣) سورة البقرة– من الآية: ٢٥٥.

اللطيف الذي يعلم أدق علم، الخبير الذي يعلم دقائق كل شيء[١]، (فهو سبحانه وتعالى {اللَّطِيفُ}؛ أي: الخفي عن إدراك الأبصار له، من اللطف بمعنى خفاء الإدراك، فيكون راجعًا لقوله: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}؛ أي: فيلطف عن أن تدركه الأبصار، بحيث تخسأ الأبصار دون إدراك حقيقته، {الْخَبِيرُ}؛ أي: العالم بدقائق الأشياء ولطائفها، فلا يعزب عن إدراكه شيء، فيكون راجعًا لقوله: {وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ})[٢].

وفي الآية إشارة إلى أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، وأن الكافرين محجوبون عن رؤيته، لأن فيها مدح وتعظيم بقوله (لا تدركه الأبصار )، فإذا كانت رؤيته معدومة فلا يصح التمدح بها، فدل ذلك على أن الشيء إذا كان في نفسه بحيث تمتنع رؤيته، فحينئذ لا يلزم من عدم رؤيته مدح وتعظيم، وأما إذا كان في نفسه جائز الرؤية، ثم إنه قدر على حجب الأبصار عنه كانت القدرة دالة على المدح والعظمة، وأن لفظ الأبصار صيغة جمع دخل عليها الألف واللام، فهي تفيد الاستغراق، فقوله: (لا تدركه الأبصار)، يفيد أنه لا تراه جميع الأبصار، فهذا يفيد سلب العموم، ولا يفيد عموم السلب، لذا فإن تخصيص هذا السلب بالمجموع يدل على ثبوت الحكم في بعض أفراد المجموع، فالآية مخصوصة فالمعنى: أنه عزيز لا يراه كل أحد، بل يراه الخواص من عباده المؤمنين في الآخرة، وهو مع ذلك يدرككم ومحيط بكم، بل ويدرك ما لا تدركونه من أنفسكم بأبصاركم[٣]. قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[٥]، عَنْ جَرِيرٍ بن عبد الله قَالَ: قَالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا

(١) ينظر معاني القرآن وإعرابه- للزجاج: ٢/ ٢٧٨- والكشاف – للزمخشري: ٢/ ٥٤- ولباب التأويل في معاني التنزيل- للخازن: ٢/ ١٤٤.

(٢) حدائق الروح والريحان – للزحيلي: ٨/ ٥١٠.

(٣) ينظر مفاتح الغيب – للرازي: ١٣/ ٩٧ – ٩٨- والجامع لأحكام القرآن – للقرطبي: ٥٤/٧- ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور- للبقاعي: ٧/ ٢١٩- ٢٢٠.

(٤) سورة القيامة – الآية: ٢٢-٢٣.

(٥) سورة المطففين- الآية: ١٥.

تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلاَةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَافْعَلُوا))[١].

وفي الآية دلالة على أن أبصار الخلائق لا تراه في الدنيا، وبهذا يعلم أنه لا تنافي بين هذه الآية وبين الأحاديث الصحيحة الدالة على رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، فلا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ لعظمته، وجلاله وكماله، أي: لا تحيط به الأبصار، وإن كانت تراه، وتفرح بالنظر إلى وجهه الكريم، ولكن دون إحاطة ولا شمول ولا حصر ولا كيفية، لأن الله سبحانه غير محصور في مكان، ولا محدد في موضع معين، فلا تستطيع الأبصار إدراكه والإحاطة الكلية به، ولا يتمكّن أحد من رؤيته في الدنيا، وإنما هو الذي يرى العيون الباصرة رؤية إدراك وإحاطة وشمول، وهو الرفيق بعباده، الخبير بهم، المطّلع على جميع أحوالهم، ولا يخفى عليه شيء إلا يراه ويعلمه، فنفي الإدراك لا ينفي الرؤية، بل يثبتها بالمفهوم، فإنه إذا نفى الإدراك، الذي هو أخص أوصاف الرؤية، دل على أن الرؤية ثابتة، فإنه لو أراد نفي الرؤية، لقال: لا تراه الأبصار ونحو ذلك، فعلم أنه ليس في الآية حجة لمذهب المعطلة، الذين ينفون رؤية ربهم في الآخرة، بل فيها ما يدل على نقيض قولهم[٢].

**ثانياً: علمه بخلقه:**

**قال الله سبحانه وتعالى:** ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[٣].

فمناسبة الآية لما قبلها، لما وصى بالوالدين، **في قوله تعالى:** ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٤]، ختم بالرجوع إليه للجزاء

(١) صحيح البخاري – كتاب التفسير– بَابُ قَوْلِه تَعَالَى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ }: ٩/ ١٢٧– رقم الحديث:٧٤٣٤.

(٢) ينظر تيسير الكريم الرحمن– للسعدي: ٢٦٨– وحدائق الروح والريحان– للزحيلي: ٥٠٨/٨.

(٣) سورة لقمان– الآية: ١٦.

(٤) سورة لقمان– الآية: ١٥.

على أعمال الخير والمعروف، وأعمال الشر والعقوق، ثمَّ بين أنَّ الأعمال صغيرها وكبيرها في الظاهر والخفاء، ومهما خفيت عن الناس وازدادت حقارتها لديهم، فإنها لا تخفى على الله، لبيان قدرة الله تعالى، ودقيق علمه وإحاطته بكل شيء، فهو المستحق للعبادة والخوف منه وحده، فلا تشرك به شيئاً وإن جاهداك، ولا تعصهما في معروف(١) .

وأما مناسبة الآية لما بعدها فلما نهاه عن الشرك وخوّفه بعلم الله وقدرته، وإحاطة علمه سبحانه وإقامته للحساب، أمره بما يلزمه من التوحيد وعبادته، وإقامة الصلاة مخلصاً لوجه الله تعالى، فهي رأس ما يصلح به العمل ويصحح(٢)، **فقال تعالى:** ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾(٣) .

إن هذا القول من لقمان لإعلام ابنه بقدر قدرة الله تعالى وعلمه، لو كان للإنسان رزق مثقال حبة خردل في أي مكان جاء الله بها حتى يسوقها إلى من هي رزقه، فلا تهتم للرزق حتى تشتغل به عن أداء الفرائض، وعن اتباع سبيل من أناب إلي، كذلك لا تخفى عليه حسنة ولا سيئة مهما دَقَّتْ، ومهما حاول صاحبها إخفاءها عن الناس، لزيادة الموعظة والتخويف، للمبالغة والانتهاء في التفهيم، أي: أن قدرته تنال ما يكون في تضاعيف صخرة وما يكون في السماء وفي الأرض، فمثقال الحبة يصلح للجواهر، أي: قدر حبة، يَأْتِ بِهَا إن احتيج إلى ذلك أو كانت رزقاً، ويصلح للأعمال ما يزنها على جهة المماثلة، يَأْتِ بذكرها وحفظها فيجازي عليها بثواب أو عقاب، فأثبت الله الرؤية والعلم، للدلالة على أن الله تعالى قد أحاط بها علما، للمبالغة في الإعلام عن سعة علمه، ونفوذ قدرته على إحصاء كل شيء عدداً، وإظهارها

---

(١) ينظر مفاتح الغيب – للرازي: ٢٥ / ١٢٠ – ونظم الدرر من تناسب الآي والسور – للبقاعي: ١٥ / ١٧١ .

(٢) ينظر مفاتح الغيب – للرازي: ٢٥/ ١٢١– ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور– للبقاعي: ١٥/ ١٧٣.

(٣) سورة لقمان– الآية: ١٧ .

للإشهاد يوم القيامة، فيحاسب بها عاملها حين يضع الموازين القسط، ويجازي عليها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر[١]، **كما قال تعالى:** ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[٢]، **وقال تعالى:** ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[٣] .

**وقوله تعالى:**" **فتكن في صخرة**" الفاء لإفادة الاجتماع وإن كانت صغيرة ومع صغرها تكون خفية في موضع محصن كالصخرة، وهو ما صلب من الحجر وعسر الإخراج منه لا تخفى على الله لأن الفاء للاتصال بالتعقيب، وأشار في قوله: أو في السموات إلى البعد، وفي قوله: أو في الأرض إلى الظلمات[٤].

**وقوله: (إن الله لطيف)** أي: نافذ القدرة خبير أي: عالم ببواطن الأمور مهما خفيت، لطيف باستخراجها، خبير بمستقرّها، اللطيف: العالم فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت، فيصل علمه إلى كل خفى، وأن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة، فإن الله سيبديها ويظهرها بلطيف علمه، {خبير} بدبيب النمل في الليل البهيم[٥].

بدأ بقوله: {يا بني} نداء للتلطف والترقيق، وكأنه يقول له: إياك أن تظن أن ما يخفى على الناس يخفى على الله تعالى، فهو يعلم جَهْر الجماعة في وقت واحد، فيعلم كل كلمة، ويعلم مَنْ نطق بها ويردّ كل لفظ إلى صاحبه، فالقرآن ذكر الخردل

---

(١) ينظر المحرر الوجيز- لابن عطية: ٤/٣٥٠- والكشاف – للزمخشري: ٣/ ٤٩٥- ومفاتح الغيب للرازي: ٢٥/ ١٢١.

(٢) سورة الأنبياء- الآية: ٤٧.

(٣) سورة الزلزلة- الآية: ٧-٨.

(٤) ينظر مفاتح الغيب – للرازي: ٢٥/ ١٢٠- ١٢١ والجامع لأحكام القرآن – للقرطبي: ١٤/٦٨- وروح المعاني- للألوسي: ١١/ ٨٧ .

(٥) ينظر الكشاف – للزمخشري: ٣/ ٤٩٥- ومفاتح الغيب- للرازي: ٢٥/ ١٢١ – وتفسير القرآن العظيم- لابن كثير: ٦/ ٣٣٨.

مثالاً للصِّغَر على قدر معرفة الناس بالأشياء عند نزوله، أما من حيث التحقيق فقد ذكر القرآن الذرة والأقلَّ منها، وختم بالتلطف، فمهما صَغُرت الأشياء ودقَّتْ يصل إليها، فهو إذن عليم خبير بكل شيء مهما صغر، قادر على الإتيان به مهما دقَّ؛ لأنه لطيف لا يمنعه مانع، فصفة اللطف هذه للتغلغل في الأشياء التي تصعب على الناس الإتيان بها، وأن الشيء كلما دقَّ ولَطُف كان أعنف حتى في المخلوقات الضارة، كانت هذه بعض وصايا لقمان ومواعظه لولده، لتنبيهه بأنك تتعامل مع إله قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يغيب عنه شيء، وإياك أنْ تتغلَّب عليك شبهة أنك لا ترى الله، فإنك إنْ لم تكُنْ تراه فإنه يراك، واعلم أن عملك محسوب عليك، وإنْ كان في صخرة صماء ضيقة، أو في سماء، أو في أرض شاسعة(١)، **قال تعالى:** ﴿ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ﴾(٢)، **وقال تعالى:** ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾(٣).

وللدلالة على التعجب والإنكار على الكفار الذين يظنون أن الله تعالى لا يعلم سرهم، **قال تعالى:** ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾(٤)، جاء بإثبات العلم ونفى ضده بأعلى صيغة للمبالغة بقوله: {ألا يعلم} وهو استفهام معناه الإنكار، أي: كيف لا يعلم ما تكلموا به سراً من خلق الأشياء وأوجدها من العدم الصرف، وكل ما يمكن أن يعلم؟، الذي خلق القلوب الحاوية للأسرار والأبدان وغير ذلك، وطبع في كل شيء من ذلك ما طبع مما قدره بعلمه وأتقنه بحكمته، فإن كل صانع أدرى بما صنعه، أينتفي علمه بمن خلق، وهو الذي لطف علمه ودق وأحاط بخفايا الأمور وظواهرها؟ وله صفتا اللطف والخبر اللتان شأنهما إدراك البواطن إدراكاً لا يكون مثله، لأن الغرض إثبات العلم لما أخفوه لظنهم أنهم إذا أسروا يخفى، {اللطيف} أي الذي يعلم

(١) ينظر تفسير الشعراوي: ١٩/ ١١٦٥٠ – ١١٦٥٤.

(٢) سورة الأنبياء– الآية: ١١٠.

(٣) سورة يونس– الآية: ٦١.

(٤) سورة الملك– الآية: ١٤.

ما بثه في القلوب لأنه يصل إلى الأشياء بأضدادها فكيف بغير ذلك، {الخبير} أي: بالغ العلم بالظواهر والبواطن فكيف يخفى عليه شيء من الأشياء، وهو أعظم تهديد ووعيد للعصاة، عندما يعلمون أن من عصوه عالم بهم وهو قادر عليهم، لا يعصونه أبداً[١].

فالآية تفيد عموم علمه تعالى، وتأكيد الإنكار والنفي بقوله: وهو اللطيف الخبير، ولتعليم الناس بأن علم الله محيط بذوات الكائنات وأحوالها، وأنه يعلم ما هو أعم من ذلك وما هو أخفى من الإسرار من الأحوال، واللطيف: العالم بخبايا الأمور والمدبر لها برفق وحكمة، والخبير: العليم الذي لا تعزب عنه الحوادث الخفية التي من شأنها أن يخبر الناس بعضهم بعضا بحدوثها، العليم علما تاماً بأسرار النفوس وخبايا ما توسوس به، فلذلك اشتق هذا الوصف من مادة الخبر، إنّما يستحق اسم اللطيف من يعلم دقائق الأمور وغامضها، وما دق منها وما لطف، ويسلك في إيصال المنافع إلى أصحابها على سبيل الرفق دون العنف، فإذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في الإدراك تم معنى اللطف، ولا يتصور كمال ذلك في العلم والفعل إلّا لله تعالى، والخبير هو الذي لا يعزب عنه الأخبار الباطنة، فلا يجري في الملك والملكوت شيءٌ، ولا تتحرك ذرة ولا تسكن، ولا تضطرب نفس ولا تطمئن، إلا ويكون عنده خبرها، وهو بمعنى العلم، لكن العلم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة يسمى خبرةً، ويسمى صاحبها خبيراً[٢].

وللدلالة على علمه تعالى بأوليائه وما يصلح لهم أحوالهم في الدنيا والآخرة، **قال سبحانه وتعالى:** ﴿ **وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا** ﴾[٣]، ذكّر الله تعالى نساء النبي صلى الله عليه وسلم بنعمته

(١) ينظر البحر المحيط- لأبي حيان:١٠/ ٢٢٥- ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور- للبقاعي: ٢٠/ ٢٤٣- ٢٤٤.

(٢) ينظر إرشاد العقل السليم- لأبي السعود: ٩/ ٧- وروح البيان - لإسماعيل حقي:١٠/ ٨٧- والتحرير والتنوير- لأبن عاشور: ٢٩/ ٣١.

(٣) سورة الأحزاب- الآية: ٣٤.

عليهنّ، وسماع تلاوة القرآن وتعليمه، لحثهنّ على تلاوته، ومشاهدة نزول الوحي بالكتاب والسنة على نبيه عليه الصلاة والسلام في بيوتهنّ، للدلالة على العمل بهما، بتدبر وتفكر، واستخراج الأحكام، مما يوجب قوة الإيمان والحرص على الطاعة، وحثاً على الانتهاء عن المعصية، وتبليغ الأحكام والعلوم والشرائع للناس، وللطفه بهنّ في تيسيره إياهن لمعاشرة الرسول عليه الصلاة والسلام وجعلهن أهل بيته، وفي إعدادهن لسماع القرآن وفهمه، ومشاهدة الهدي النبوي، ولعلمه بما فيه من الخير لهنّ، فلا يخفى عليه شيء من أحوالهنّ، واذكرن نعمة الله عليكن؛ بأن جعلكن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة، فاشكرن الله على ذلك، واحمدنه عليه، والمراد بآيات الله القرآن، والحكمة أسراره وسنة رسوله، وأمرهن بذكره، يشمل ذكر لفظه بتلاوته، وذكر معناه، وذكر العمل به وتأويله[1]، (ولما كان السياق للإعراض عن الدنيا، وكانت الحكمة منفرة عنها، أشار بختام الآية إلى أنها مع كونها محصلة لفوز الأخرى جالبة لخير الدنيا، فقال مؤكداً رادعاً لمن يشك في أن الرفعة يوصل إليها بضدها ونحو ذلك مما تضمنه الخبر من جليل العبر: {إن الله} أي: والذي له جميع العظمة، {كان} أي: لم يزل، {لطيفاً} أي: يوصل إلى المقاصد بوسائل الأضداد، {خبيراً} أي: يدق علمه عن إدراك الأفكار، فهو يجعل الإعراض عن الدنيا جالباً لها على أجمل الطرائق وأكمل الخلائق، وإن رغمت أنوف جميع الخلائق، ويعلم من يصلح لبيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن لا يصلح، وما يصلح الناس دنيا وديناً وما لا يصلحهم، والطرق الموصلة إلى كل ما قضاه وقدره، وإن كانت على غير ما يألفه الناس)[2].

يدرك أسرار الأمور، وخفايا الصدور، وخبايا السماوات والأرض، والأعمال التي تبين وتسر، فلطفه وخبرته إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آياته وشرائعه {خَبِيرًا} بكن؛ إذ اختاركن لرسوله أزواجًا أو لطيفًا بأوليائه، خبيرًا بجميع خلقه،

(١) ينظر المحرر الوجيز ابن عطية: ٤/ ٣٨٤- ٣٨٥- والكشاف – للزمخشري: ٣/ ٥٣٨- وأنوار التنزيل وأسرار التأويل- للبيضاوي: ٤/ ٢٣١- وتيسير الكريم الرحمن- للسعدي:٦٦٤.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور- للبقاعي:١٥/ ٣٤٨.

وجميع ما يصدر منهم من خير وشر، وطاعة ومعصية، فهو يجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، مما يقتضي حثهن على الإخلاص وإسرار الأعمال، ومجازاة الله على تلك الأعمال، اللطف هو الدقِّة في تناول الأشياء وحُسْن تأتِّي الأمور مهما كانت وسائلها ضيقة، والتغلغل في الأشياء مهما دَقَّتْ، ووَصْف اللطيف يُتمِّمه وصف الخبير، فإذا كان اللطيف يعني الدقة في تناول الأشياء وحُسْن التأتِّي، فالخبرة تعني معرفة الموضع، فاللطف لا يتأتي إلا بالخبرة، أو بليغ اللطف والبر بخلقه كلهم؛ خبيرًا أي: بليغ العلم بالأشياء كلها، فيعلم ويدبر ما يصلح في الدين، ولذلك أمر ونهى، أو يعلم من يصلح لنبوته، ومن يستأهل أن يكون من أهل بيته(١).

## المطلب الثاني: لطفه بإحسانه:

### أولاً: لطفه بإحسانه إلى أنبيائه:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾(٢) ، تدل على الجلوس معه على السرير، الذي يجلس عليه كما هو عادة الملوك، وأن الأبوين والإخوة خروا ليوسف عليه السلام سجداً، وكان ذلك جائزاً في شريعتهم، منزلاً منزلة التحية، إن السجود هنا ليس سجود الصلاة، وإنما هو تقديم الطاعة والخضوع للحكم والسلطان، إنه تحية وتكريم لصاحب عرش مصر وهو يوسف عليه السلام ، لا سجود عبادة وتقديس، وقيل سجود شكر لله تعالى، لأجل يوسف عليه السلام ولقائه والنعم التي حلت عليهم، فأشار إلى سجود أبويه وإخوته له، هو مصداق رؤياه الشمس والقمر، وأحد عشر كوكباً سجداً له، فقد تحققت ولم يجعلها باطلاً من أضغاث الأحلام الناشئة عن غلبة الأخلاط الغذائية أو الانحرافات الدماغية، فيها

(١) ينظر روح البيان- لإسماعيل حقي: ٧/ ١٧٣- وتيسير الكريم الرحمن- للسعدي:٦٦٤- وتفسير الشعراوي: ١٩/ ١٢٠٢٨- ١٢٠٢٩.

(٢) سورة يوسف- الآية: ١٠٠.

تقديم وتأخير بين الرّفع على العرش وبين السّجود، فالسّجود متقدّم على الرّفع على السّرير الملكي، لكن قدّم الرّفع، اهتماماً بتعظيم أبويه، وهذا سلوك يدل على المحبة والتقدير والإكرام(١)، وورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: (( قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَنْحَنِي بَعْضُنَا لِبَعْضٍ؟ قَالَ: «لَا»، قُلْنَا أَيُعَانِقُ بَعْضُنَا بَعْضًا؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ تَصَافَحُوا»))(٢).

قص يوسف عليه السلام على أبيه ما أصابه من شدة، ذاكراً النعم التي أعقبت النقم، ويُثني على الله شاكراً إحسانه، فذكر خروجه من السجن، فهو يذكر النعم، والنفس المؤمنة تذكر النعمة وتشكرها، فكانت نفس النبي الصديق ذاكرة للنعمة غير مبينة للشدة، لأنَّ الأساس هو النتائج، لَا الوسائل، ولم يذكر دخوله في السجن، لأن السّجن كان آخر المحن، وأخطر من السّقوط في الجبّ لما فيه من اتّهام بالنّساء، ولأنه بعد خروجه من البئر صار عبداً لا ملكاً، وصار بعد السّجن ملكاً، فكان الإخراج منه أقرب إلى الإنعام الكامل، ولأنه في ذكره نوع تثريب للإخوة، وقد قال: لا تثريب عليكم، وكان مستمتعاً بنعمة الأبوة إذ يناديه (يَا أَبَتِ)، فذكر اللقاء السعيد في هناءة وسرور، الأصل أن يتعدى فعل الإحسان بإلى، وقد يتعدى بالباء، وقيل: إنه ضمن أحسن معنى اللطف، أي: لطف بي محسناً، وباء بي للملابسة أي: جعل إحسانه ملابساً لي، وخص من إحسان الله إليه دون مطلق الحضور للامتياز أو الزيادة إحسانين، هما: يوم أخرجه من السجن، ومجيء عشيرته من البادية، فإن إذ ظرف زمان لفعل أحسن فهي بإضافتها إلى ذلك الفعل اقتضت وقوع إحسان غير معدود، ثم ذكر إحسان الله إلى بقية أهله، ومنه المجيء من البدو نعمة، فأسنده إلى الله تعالى وهو مجيؤهم بقصد الاستيطان، فيه إظهار لتمام النعمة، لأن انتقال أهل البادية إلى المدينة ارتقاء في الحضارة، ولم يذكر إخراجه من الجب، إلا بالإشارة غير عائد باللائمة عليهم، ترفّعاً عن لوم إخوته، وتكريماً لهم، وحفاظاً على حيائهم،

(١) ينظر زهرة التفاسير– لأبي زهرة: ٧/٣٨٦١– ٣٨٦٢– والتحرير والتنوير– لابن عاشور: ١٣/ ٥٧– والتفسير المنير– للزحيلي : ١٣/ ٧٠.

(٢) سنن ابن ماجه–كِتَابُ الْأَدَبِ– بَابُ الْمُصَافَحَةِ: ٢/ ١٢٢٠– رقم الحديث: ٣٧٠٢ قال الألباني: حسن.

بل يكاد لا يخلي نفسه من ملامة، ولم ينسب الشر إلى إخوته، بل نسب النزغ بأنه بينهم، وحمل بعضهم على بعض، وأحال يوسف عليه السلام ذنب إخوته على الشيطان تكرماً منه وتأدباً، مع أنهم المعتدون وهو البريء المجني عليه، يريد أن يمحو العداوة بالمودة، وعبر بالأخوة الرابطة، فكلمة بعد اقتضت أن ذلك شيء انقضى أثره، وقد ألم به إجمالاً، اقتصاراً على شكر النعمة وإعراضاً عن التذكير بتلك الحوادث المكدرة للصلة بينه وبين إخوته، فمر بها مر الكرام، وباعدها عنهم بقدر الإمكان إذ ناطها بنزغ الشيطان(١).

ثم علل الإحسان إليهم جمعياً، وترتيبه الخير وسط إرادة الشر، بقوله: {إن ربي} أي المحسن إليّ على وجوه فيها خفاء {لطيف} أي: يعلم دقائق المصالح وغوامضها، يسلك سبيل الرفق دون العنف في إيصالها إلى المستصلح، يوصل بره وإحسانه إلى العبد من حيث لا يشعر، ويوصله إلى المنازل الرفيعة من أمور يكرهها، لطيف التدبير يجعل الخير من إرادة غيره، ويجعل من النقمة نعمة، ومن السيئة حسنة، يسبب لهم مصالحهم من حيث لا يعلمون، ويرفعهم من ناحية المكاره التي تلحقهم، إذ لولا سيئة إخوته ما كان أرداف الحسنات التي أسبغها اللّه تعالى عليه، ولولا تآمر إخوة يوسف عليه لما ألقي في الجب، ولولا إلقاؤه في الجب ما أخذه السيارة، ولولا أخذ السيارة له وزهدهم فيه لما باعوه لحاكم مصر، ولولا بيعه كالعبيد لما راودته سيدة القصر عن نفسه، ولولا هذه المراودة لما دخل السجن، ولولا دخوله السجن لما اختلط بصاحبي السجن، ولولا تأويله لهما ما رأياه في منامهما لما اتصل أمره بالملك، ولولا اتصال أمره بالملك لما خرج من السجن، ولما وليَّ على خزائن الأرض، وهكذا أراد ربك أن يرفعه من طريق الضعف، ويغنيه من طريق الفقر، ويسعده من طريق الشقاء، فإذا اجتمع الرفق في الفعل، واللطف في الإدراك فهو اللطيف، فعلل هذه العلة بقوله: {إنه هو} أي: وحده {العليم} أي: البليغ العلم للدقائق والجلائل، العليم بكل شيء، العليم بمقدمات الأمور ونهاياتها،

(١) ينظر مفاتح الغيب- للرازي: ١٨/ ٥١٢- وفتح القدير- للشوكاني: ٣/ ٦٨- والتحرير والتنوير- لابن عاشور: ١٣/ ٥٧- ٥٨- والتفسير المنير -للزحيلي: ١٣/ ٧١.

الذي يعلم ظواهر الأمور وبواطنها، وسرائر العباد وضمائرهم، {الحكيم} أي: البليغ الإتقان لما يصنعه، إنه هو الحكيم الذي يدبر كل شيء بمقتضى علمه الذي لَا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ويضع الأشياء مواضعها، ويسوق الأمور إلى أوقاتها المقدرة لها(١).

كانت قصة يوسف عليه السلام مع أبيه وإخوته من العجائب، وتمت فصولها ومشاهدها على مدى طويل، لتعليم الناس وإرشادهم إلى ضرورة التصديق أولا بأخبار الأنبياء الذين يخبرون عن الله بالوحي، وإلى لزوم الاعتصام بالإيمان بالله عزّ وجلّ، وبالصبر الجميل على الأحداث، وإلى تفويض الأمر لله تعالى دون تعجيل بالثأر أو الانتقام أو اقتراف الخطأ والذنب، فسبحانه هو المدير الذي لا تَخْفى عليه خافية أبداً، ولا توجد عوائق تمنعه، وهو العليم بموقع وموضع كل شيء، فهو يجمع بين اللطف والخبرة، فلُطْفه لا يقف أمامه أي شيء، ولا يوجد ما هو مستور عنه، ولا يقوم أمام مراده شيء، وسبحانه خبير بمواضع الأشياء، وعلْمه سبحانه مُطْلق، وهو حكيم يُجرِي كل حَدَث بمراد دقيق، ولا يضيف إليه أحد أيَّ شيء، فهو صاحب الكمال المطلق(٢).

**ثانياً: لطفه بإحسانه إلى خلقه:**

**قال سبحانه وتعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾(٣)، الاستفهام تقريري، للتنبيه على شكر الله على نعمه، وأن لا يعبدوا غيره، والترغيب في النظر بآياته الدالات على وحدانيته وكماله، وإيقاظ غفلة كثير من الناس عن الاعتبار بهذه النعمة، الذين أهملوا الشكر والاعتبار، وللدلالة على أن الذي أحياها بعد موتها لمحيي الموتى بعد أن كانوا رميماً، ورفع كلمة (فَتُصْبِحُ) بصيغة

(١) ينظر مفاتح الغيب- الرازي: ١٨/ ٥١٤- ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور- للبقاعي: ١٠/ ٢١٩- وأوضح التفاسير- لابن الخطيب: ١/ ٢٩٤.

(٢) ينظر تفسير الشعراوي: ١٢/ ٧٠٨٦- والتفسير الوسيط- للزحيلي: ٢/ ١١٣٦.

(٣)سورة الحج- الآية: ٦٣.

المضارع، لإثبات الاخضرار، ودوامه واستمراره زماناً بعد زمان، ولو نصب لدل على النفي(١).

وأشار بلطفه بعباده، وأنه يدبر لهم أمر المعاش بفضله، وأنه عليم بما في أنحاء الأرض من الحب مهما صغر، ومن لطفه أنه يعلم مواقع القطر من الأرض، وبذور الأرض في باطنها، فيسوق ذلك الماء إلى ذلك البذر، الذي خفي على علم الخلائق، فينبت منه أنواع النبات، خبير بمصالح خلقه ومنافعهم وأحوالهم، لا يخفى عليه خافية، فيحقق لهم المصلحة بتدبيره، وجملة إن الله لطيف خبير في موقع التعليل للإنزال، أي: أنزل الماء المتفرع عليه الاخضرار لأنه لطيف، أي: رفيق بمخلوقاته، عليم بترتيب المسببات على أسبابها، يصل علمه أو لطفه إلى كل ما جل ودق ومنه إخراج النبات، خَبِيرٌ بالتدابير الظاهرة والباطنة، وبما في قلوب العباد، ومنه قلقهم عند تأخير المطر، إِنَّ اللَّهَ متفضل على العباد بإيصال منافعهم إليهم برفق ومن ذلك إنزال الماء من السماء، واخضرار الأرض بسببه، وأنه رحيم بعباده ولرحمته فعل ذلك حتى عظم انتفاعهم به، الذي يسوق إلى عبده الخير، ويدفع عنه الشر، بطرق لطيفة تخفى على العباد، خَبِيرٌ عليم بدقائق الأمور، ومنها مقادير مصالح عباده دون زيادة ونقصان(٢)، **قال تعالى:** ﴿ **وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ** ﴾(٣) .

**ثالثاً: لطفه بإحسانه إلى عباده:**

**قال سبحانه وتعالى:** ﴿ **ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ** ﴾(٤)، الله لطيف بعباده أي: كثير الإحسان بهم، ورفقه بهم وما يسر من الرزق للمؤمنين

(١) ينظر المحرر الوجيز- لابن عطية: ٤/ ١٣١- والتحرير والتنوير- لابن عاشور: ١٧/ ٣١٧-٣١٨- والتفسير المنير- للزحيلي: ١٧/ ٢٦٠.

(٢) ينظر مفاتح الغيب- الرازي: ٢٣/ ٢٤٧- والتحرير والتنوير- لابن عاشور: ١٧/ ٣١٩- والتفسير المنير- للزحيلي: ١٧/ ٢٦٣.

(٣) سورة الشورى- الآية: ٢٧.

(٤) سورة الشورى- الآية: ١٩.

منهم والكفار في الدنيا، ثم ما خص به المؤمنين من رزق الآخرة، والذين كفروا لهم العذاب الشديد، ثم إنه تعالى أخر عنهم ذلك العذاب فكان ذلك أيضا من لطف الله تعالى، فلما سبق ذكر إيصال أعظم المنافع إليهم ودفع أعظم المضار عنهم، أنزل عليهم الكتاب المشتمل على هذه الدلائل اللطيفة، فكان ذلك من لطف الله بعباده، ولَطِيفٌ هنا بمعنى: رفيق، والعباد هنا: المؤمنون ومن سبق له الخلود في الجنة، وذلك أن الأعمال بخواتمها، ولا لطف إلا ما آل إلى الرحمة، لبيان أن الله كثير اللطف بعباده، وأما الإنعام على الكافرين في الدنيا فليس بلطف بهم، بل هو إملاء واستدراج، لفتح باب الأمل والرجاء والرحمة، ومن ألطافه أنه يرزق جميع عباده، بحسب مشيئته، يرزق من يشاء منهم كيف يشاء، لا فرق بين برّ وفاجر، فيوسع على هذا، ويضيق على هذا، ومن غير ضعف، ولكن الله عظيم القوة، باهر القدرة، يغلب كل شيء، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، إن الله تعالى كثير اللطف بعباده، بالغ الرأفة بهم، فيوصل إليهم أعظم المنافع، ويدفع عنهم أعظم المضار والبلايا، ومنها تأخير العذاب عن الخلق، ومن مظاهر ذلك أنه لا يعاجلهم بالعقوبة، مع مجاهرتهم بمعصيته، وأنه يرزقهم جميعاً مع أن أكثرهم لا يشكرونه على نعمه، بليغ البرّ بهم، يفيض جل شأنه على جميعهم من صنوفه ما لا يبلغه الأفهام، وجاء بلفظ اللطف بصيغة المبالغة وتنكيرها الدال على المبالغة بحسب الكمية والكيفية، والمشيئة: مشيئة تقدير الرزق لكل أحد من العباد، ليكون عموم اللطف للعباد باقياً، والمعنى: أنه للطفه بجميع عباده لا يترك أحداً منهم بلا رزق، وأنه فضل بعضهم على بعض في الرزق جرياً على مشيئته، يرزق من يشاء يعني أن أصل الإحسان والبر عام في حق كل العباد، وذلك هو الإحسان بالحياة والعقل والفهم، وإعطاء ما لا بد منه من الرزق، ودفع أكثر الآفات والبليات عنهم، وهو القوي العزيز تمجيد لله تعالى بهاتين الصفتين، ويفيد الاحتراس من توهم أن لطفه عن عجز أو مصانعة، فإنه قوي عزيز لا يعجز ولا يصانع، أو عن توهم أن رزقه لمن يشاء عن شح أو قلة فإنه القوي، والقوي تنتفي عنه أسباب الشح، والعزيز ينتفي عنه سبب الفقر فرزقه لمن يشاء بما يشاء منوط بحكمة علمها في أحوال خلقه عامة وخاصة، والإخبار عن اسم الجلالة بالمسند المعرف باللام، يفيد معنى قصر القوة

والعزة عليه تعالى، وهو قصر الجنس للمبالغة، لكماله فيه تعالى حتى كأن قوة غيره وعزة غيره عدم، لطيف بعباده عام الإحسان بهم لأنه تعالى القوي الباهر القدرة الذي غلب وغلبت قدرته سبحانه جميع القُدَر، يرزق من يشاء لأنه العزيز الذي لا يغلب على ما يريد، العظيم القوة الباهرة، والقدرة البالغة، ما يناسب عموم لطفه للعباد[١]، **قال تعالى:** ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[٢].

يخبر تعالى بلطفه بعباده ليعرفوه ويحبوه، ويتعرضوا للطفه وكرمه، واللطف من أوصافه تعالى معناه: الذي يدرك الضمائر والسرائر، الذي يوصل عباده – وخصوصا المؤمنين– إلى ما فيه الخير لهم من حيث لا يعلمون ولا يحتسبون، فمن لطفه بعبده المؤمن، أن هداه إلى الخير هداية لا تخطر بباله، بما يسر له من الأسباب الداعية إلى ذلك، من فطرته على محبة الحق والانقياد له، وإرساله تعالى لملائكته الكرام، أن يثبتوا عباده المؤمنين، ويحثوهم على الخير، ويلقوا في قلوبهم من تزيين الحق ما يكون داعياً لاتباعه، ومن لطفه أن أمر المؤمنين، بالعبادات الجماعية، التي بها تقوى عزائمهم وتنبعث هممهم، ويحصل منهم التنافس على الخير والرغبة فيه، واقتداء بعضهم ببعض، ومن لطفه أن قيض لعبده كل سبب يعوقه ويحول بينه وبين المعاصي، حتى إنه تعالى إذا علم أن الدنيا والمال والرياسة ونحوها مما يتنافس فيه أهل الدنيا، تقطع عبده عن طاعته، أو تحمله على الغفلة عنه، أو على معصية صرفها عنه، ويوسع الرزق على من يشاء منهم، ويقتره على من يشاء، ليمتحن الغني بالفقير، والفقير بالغني، وليحتاج بعضهم إلى بعض، ثم ذكر ما هو كالعلة لذلك، فقال: {وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} أي: وهو القادر على ما يشاء، العزيز الذي لا يقدر أحد أن يمنعه عن شيء مما يريده، يعلم غوامض أحوالكم من

(١) ينظر المحرر الوجيز ابن عطية: ٥/ ٣٢– وروح المعاني – للألوسي:١٣/ ٢٧– والتحرير والتنوير– لابن عاشور: ٢٥/ ٧١–٧٣.

(٢) سورة هود– الآية: ٦.

دقيق الرياء والتصنع لئلا يعجبوا بأحوالهم وأعمالهم، وخاطب العصاة بقوله لطيف لئلا ييأسوا من إحسانه، وخاطب الفقراء بقوله لطيف أي: إنه محسن بكم لا يقتلكم جوعاً، فإنه محسن بالكافرين فكيف بالمؤمنين، وخاطب الأغنياء بقوله لطيف ليعلموا أنه يعلم دقائق معاملاتهم في جميع المال من غير وجه بنوع تأويل، ومن لطفه بعباده أنه جعلهم مظهر صفات لطفه، ولولا لطفه ما عرفوه، ومن لطفه بعباده أنه زين أسرارهم بأنوار العرفان وكاشفهم بالعين والعيان[1].

## المطلب الثالث: لطف المخلوق مع الناس:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾[2]، أي: كما أبقيناهم أحياء من غير أكل ولا شرب مدة طويلة من الزمان، وحفظنا أجسادهم من البلى والتحلل في تقلب مستمر وهم نيام، فكذلك بعثناهم، أي: أحييناهم من تلك النومة التي تشبه الموت، لنعرّفهم مدى قدرتنا وعجيب فعلنا، وليتبصروا في أمرهم من براءتهم من عبادة الآلهة، وإخلاصهم العبادة لله الواحد القهار، ويشكروا ربهم إذا تبيّنوا طول الزمان عليهم، بهيئتهم حين رقدوا، وليتساءلوا بينهم، أي: ليؤول الأمر أو يصير إلى هذا اللون من التساؤل، للمبالغة على عظيم قدرة الله تعالى في إفاقتهم بعد تلك السنين، وأنها آية وعبرة مثل آية الإنامة، للدلالة على حقيقة البعث وعلى بعث الأموات وإحياء الأنفس يوم القيامة، وأن مجيئها أمر لا شك فيه، لأن بعثهم من نومهم، كبعثهم من موتهم، بعثناهم فتساءلوا بينهم عن المدة الحقيقية

(١) ينظر روح البيان- لإسماعيل حقي: ٨/ ٣٠٣-٣٠٤- وتيسير الكريم الرحمن- للسعدي: ٧٥٦- وحدائق الروح والريحان- للزحيلي: ٢٦/ ٩٣.

(٢) سورة الكهف- الآيتان: ١٩-٢٠.

لمكوثهم في الكهف، لشعورهم بنومهم الطويل الذي يشبه الموت، قال بعضهم: لبثنا يوماً كاملاً، أو جزءاً من اليوم، لأن دخولهم إلى الكهف كان في أول النهار، وإيقاظهم كان في آخر النهار، وأسند الجواب إلى ضمير جماعتهم، لأنهم تواطؤوا عليه، فلما اختلفوا رجعوا فعدلوا عن القول بالظن إلى تفويض العلم إلى الله تعالى، أي: فالله أعلم منكم، وأنتم لا تعلمون مدة لبثكم، وذلك من كمال إيمانهم وأدبهم مع الله تعالى، إشارة إلى من اشتبه عليه العلم، أن يرده إلى عالمه، فتركوا الخوض في مدة لبثهم فلا يعلمها إلا الله وأخذوا التفكير في شيء آخر مما يهمهم، للدلالة على حكمتهم وفطانتهم بتلقي السائل بغير ما يتطلب تنبيهاً على التوجه إلى ما هو أولى، والحث على العلم، وعلى المباحثة فيه، لكون الله بعثهم لأجل ذلك(١)، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴾(٢) .

لما أحسّوا بحاجتهم إلى الطعام والشراب قالوا: أرسلوا أحدكم بدراهمكم هذه إلى المدينة، ووصفها باسم الإشارة يشعر بأن القائل ناولها بعض أصحابه، ليشتري بها قوت يومهم ذلك، وللإشارة إلى دراهم معينة عندهم، وحملهم لها دليل على أن التزود لا ينافي التوكل على الله تعالى، فلينظر أيّ مكان منها هو أزكى طعاماً من طعام غيره، وليبصر أيّ الأطعمة أجود وأحل وأنفع وأطيب وأيسر سعراً، للدلالة على ورعهم وزهدهم في الدنيا، والفاء لتفريع أمرهم من يبعثونه بأن يأتي بطعام زكي، فليأتكم بمقدار مناسب منه، من رزق الله الذي يرزق به الناس، وليتلطف أي: وليكن لطيفاً رفيقاً في الطلب، وفي الدخول والخروج من المدينة، وفي الشراء بدون غلظة، للدلالة على حسن خلقهم ورفق معاملتهم مع الناس، وصيغة الأمر في قوله: فليأتكم وليتلطف أمر لأحد غير معين سيوكلونه، للدلالة على حسن السياسة والتلطف في دخول المدينة وخروجها وشراء الطعام من أهلها، وليتكلف اللطف في الاستخفاء، والدقة في استعمال الحيل، حتى لا يعلم أهل المدينة بهم، فيقتلوهم بالحجارة، والإشعار: الإعلام ولا يخبرنّ بوجودكم أحداً، عن جميع أحوالهم من عددهم ومكانهم وغير ذلك، والنون لتوكيد

(١) ينظر إرشاد العقل السليم- لأبي السعود: ٥/ ٢١٣- والتحرير والتنوير- لابن عاشور: ١٥/٢٨٤- والتفسير الوسيط – للزحيلي: ٢/ ١٤١٢-١٤١٣- ١٤١٤.

(٢) سورة الكهف- الآية: ١٢.

النهي تحذيراً من عواقبه المضمنة في جملة إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم الواقعة تعليلاً للنهي، وبياناً لوجه توكيد النهي بالنون، فهي واقعة موقع العلة والبيان، وكلاهما يقتضي فصلها عما قبلها، وجملة إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم علة للأمر بالتلطف والنهي عن إشعار أحد بهم، والرجم: القتل برمي الحجارة على المرجوم حتى يموت، وهو قتل إذلال وإهانة وتعذيب، لأنهم إن اطلعوا على مكانكم، يقتلوكم بالرجم بالحجارة، أو يكرهوكم على العودة إلى دينهم، فلن تفلحوا إذا أبداً، لا في الدنيا ولا في الآخرة، للدلالة على التحرز والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن في الدين، واستعمال الكتمان في ذلك على الإنسان وعلى إخوانه في الدين، فهم حذرون خائفون، ولا يعلمون أن الأعوام قد كرت، وأن عجلة الزمن قد دارت، وأن أجيالاً قد تعاقبت، وأن مدينتهم التي يعرفونها قد تغيرت معالمها، وأن أعداءهم الكافرين قد زالت دولتهم(١)، وأخرج الإمام مسلم ثلاثة أحاديث متقاربة المعنى أحدها: عن جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (( مَنْ حُرِمَ الرِّفْقَ، حُرِمَ الْخَيْرَ أَوْ مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ))، والثاني: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (( إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ))، والثالث: عَنْها أيضاً، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ))(٢).

(١) ينظر إرشاد العقل السليم- لأبي السعود: ٥/ ٢١٤- والتحرير والتنوير- لابن عاشور: ١٥/٢٨٥-٢٨٦- والتفسير الوسيط – للطنطاوي: ٨/ ٤٩٢.

(٢) صحيح مسلم- كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ- بَابُ فَضْلِ الرِّفْقِ: ٤/ ٢٠٠٣- ٢٠٠٤- أرقام الأحاديث: ٢٥٩٢- ٢٥٩٣- ٢٥٩٤.

## الخاتمة

الحمد لله المنان، الذي علم الانسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيد الأنام، وعلى آله وأصحابه الكرام، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم القيام، فبعد أن حلقت في هذه الأجواء الطيبة ، لا بد من ذكر ملخص البحث في الفقرات الآتية :

- إنّ اللطف في اللغةِ يدل على الترفق والرفق والرفيق، والبر والرقة واللين والرأفة، والقرب والصحبة والتوفيق، والغامض والخفي والحيلة.
- إنّ اللطف في الاصطلاح هو بيان المعاني الغامضة والخفية، واللطيف هو العالم بخفايا الأمور ودقائقها.
- إنّ التلطف مع الناس يكسب القلوب القاسية والعاصية، ويلينها بالكلام الطيب الرقيق.
- الله تعالى بلطف إدراكه للمدركات يدرك الجواهر اللطيفة، التي لا تدركها أبصار المخلوقات، فهو اللطيف يلطف عن أن تدركه أبصارهم، نافذ القدرة وعالم ببواطن الأمور مهما خفيت، لطيف باستخراجها، خبير بمستقرّها.
- الله تعالى اللطيف العالم فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت، فيصل علمه إلى كل خفى، لتنبيه العبد، أنك تتعامل مع إله قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يغيب عنه شيء، فإنك إنْ لم تكُنْ تراه فإنه يراك.
- إن صفة اللطف هي للتغلغل في الأشياء التي تصعب على الناس الإتيان بها، وأنّ الشيء كلما دقَّ ولَطُف كان أعنف حتى في المخلوقات الضارة.
- إنّ الله تعالى اللطيف يعلم ما هو أخفى من الإسرار من الأحوال، العليم علماً تاماً بأسرار النفوس وخبايا ما توسوس به، فلطفه وخبرته إذ جعل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في البيوت التي تتلى فيها آياته وشرائعه، لطيفًا بأوليائه، مما يقتضي حثهن على الإخلاص وإسرار الأعمال، ومجازاة الله على تلك الأعمال.
- إنّ الله تعالى لطيف يوصل بره وإحسانه إلى العبد من حيث لا يشعر، ويوصله إلى المنازل الرفيعة من أمور يكرهها، لطيف التدبير يجعل الخير من إرادة

غيره، ويجعل من النقمة نعمة، ومن السيئة حسنة، يسبب لهم مصالحهم من حيث لا يعلمون، ويرفعهم من ناحية المكاره التي تلحقهم، كما رفع يوسف عليه السلام.

- إن الله لطيف رفيق بمخلوقاته، عليم بترتيب المسببات على أسبابها، يصل علمه أو لطفه إلى كل ما جل ودق ومنه إخراج النبات، خَبِيرٌ بالتدابير الظاهرة والباطنة، الذي يسوق إلى عبده الخير، ويدفع عنه الشر، بطرق لطيفة تخفى على العباد، خَبِيرٌ عليم بدقائق الأمور، ومنها مقادير مصالح عباده دون زيادة ونقصان.
- إن الله لطيف بعباده كثير الإحسان بهم، ورفقه بهم وما يسر من الرزق للمؤمنين منهم والكفار في الدنيا، ثم ما خص به المؤمنين من رزق الآخرة، يخبر تعالى بلطفه بعباده ليعرفوه ويحبوه، ويتعرضوا للطفه وكرمه.
- إن أصحاب الكهف كانوا لطفاء مع الناس، بقولهم لصاحبهم: وليكن لطيفاً رفيقاً في الطلب، وفي الدخول والخروج، وفي الشراء بدون غلظة، للدلالة على حسن خلقهم ورفق معاملتهم مع الناس، للدلالة على حسن السياسة والتلطف في دخول المدينة وخروجها وشراء الطعام من أهلها، وليتكلف اللطف في الاستخفاء، والدقة في استعمال الحيل، حتى لا يعلم أهل المدينة بهم، ولا يخبرنّ بوجودكم أحداً، عن جميع أحوالهم من عددهم ومكانهم وغير ذلك، فيقتلوهم بالحجارة.

## أهم نتائج البحث

- إنّ اللطف هو بيان المعاني الغامضة والخفية، واللطيف هو العالم بخفايا الأمور ودقائقها.
- إنّ التلطف مع الناس يكسب القلوب القاسية والعاصية، ويلينها بالكلام الطيب الرقيق.
- الله تعالى بلطف إدراكه للمدركات يدرك الجواهر اللطيفة، التي لا تدركها أبصار المخلوقات، فهو اللطيف يلطف عن أن تدركه أبصارهم.
- الله تعالى اللطيف العالم فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت، فيصل علمه إلى كل خفى.
- إن صفة اللطف هي للتغلغل في الأشياء التي يصعب على الناس الإتيان بها.
- إنّ الله تعالى اللطيف يعلم ما هو أخفى من الإسرار من الأحوال.
- إن الله لطيف رفيق بمخلوقاته، عليم بترتيب المسببات على أسبابها.
- إن الله لطيف بعباده كثير الإحسان بهم.
- إن أصحاب الكهف كانوا لطفاء مع الناس.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

# فهرست المصادر والمراجع

**وهي بعد القرآن الكريم:**


١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم- لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ)- دار إحياء التراث العربي- بيروت .

٢. أساس البلاغة- للزمخشري(ت٥٣٨هـ) - دار صادر- بيروت ١٣٩٩هـ.

٣. أنوار التنزيل وأسرار التأويل- لأبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (ت٦٨٥هـ)- تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- الطبعة الأولى- ١٤١٨ه.

٤. أوضح التفاسير- لمحمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت ١٤٠٢هـ)- المطبعة المصرية ومكتبتها- ط/٦ - ١٣٨٣هـ .

٥. البحر المحيط- لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي(ت٧٤٥هـ)- تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود- والشيخ علي محمد معوض- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة: الأولى- ٢٠٠١م.

٦. التحرير والتنوير- لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي(ت ١٣٩٣هـ)- الدار التونسية للنشر- تونس- ١٩٨٤ه

٧. تفسير الشعراوي- لمحمد متولي الشعراوي (ت١٤١٩هـ) - دار الشروق - القاهرة.

٨. تفسير القرآن العظيم - لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ، تحقيق: محمود بن الجميل ووليد بن محمد وخالد بن محمد - دار البيان- القاهرة-ط/١- ٢٠٠٠م .

٩. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - لوهبة بن مصطفى الزحيلي- دار الفكر المعاصر - دمشق-ط/٢- ١٤١٨ هـ .

١٠. التفسير الوسيط للقرآن الكريم - لمحمد سيد طنطاوي- دار نهضة مصر- ط/١.

١١. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن- لمحمد الأمين بن عبدالله الأرمي العلوي الهرري الشافعي- إشراف: هاشم محمد علي بن حسين مهدي- دار طوق النجاة- بيروت -ط/١- ١٤٢١ هـ .

١٢. تهذيب اللغة- للأزهري(ت٣٧٠هـ)- تحقيق: عبدالسلام محمد هارون- الدَّار المصرية- ١٣٨٤هـ.
١٣. التوقيف على مهمات التعاريف- للمناوي محمد عبد الرؤوف (ت١٠٣١هـ)- تحقيق: د. محمد رضوان الداية - دار الفكر- بيروت- دمشق-ط/١- ١٤١٠هـ.
١٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - لأبي عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت١٣٧٦هـ)- تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق - مؤسسة الرسالة-ط/١-٢٠٠٠م .
١٥. الجامع لأحكام القرآن- لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي(ت٦٧١ هـ)- تحقيق: هشام سمير البخاري- دار عالم الكتب- الرياض- ٢٠٠٣م.
١٦. روح البيان في تفسير القرآن- لأبي الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي التركي (ت١١٢٧هـ)- دار إحياء التراث العربي .
١٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- لأبي الفضل محمود الألوسي(ت١٢٧٠هـ)- دار إحياء التراث العربي- بيروت.
١٨. زهرة التفاسير- لأبي زهرة محمد أحمد مصطفى المصري (١٣٩٥هـ)- دار الفكر العربي- بيروت .
١٩. سنن ابن ماجه- لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني- المعروف بابن ماجه (ت٢٧٣ه)- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- دار الفكر بيروت .
٢٠. صحيح البخاري(ت٢٥٦هـ)- تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر- دار طوق النجاة- الطبعة: الأولى- ١٤٢٢هـ.
٢١. صحيح مسلم- لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري (ت٢٦١هـ)- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء التراث العربي- بيروت .
٢٢. العين- لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ) - تحقيق: د.مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي - دار ومكتبة الهلال.
٢٣. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- لمحمد بن علي ابن محمد الشوكاني الصنعاني (ت١٢٥٠هـ)- دار الفكر- بيروت .
٢٤. الكشاف- لأبي القاسم محمود الزمخشري (ت٥٣٨ه)- تحقيق: عبد الرزاق المهدي- دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٢٥. الكليات- لأبى البقاء الحسيني(ت١٠٩٤هـ)- تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري- مؤسسة الرسالة- بيروت- ١٩٩٨م .
٢٦. لباب التأويل في معاني التنزيل- لأبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت٧٤١هـ)- دار الفكر : بيروت- ١٩٧٩ .
٢٧. لسان العرب- لأبي الفضل محمد بن مكرم بن علي ابن منظور(ت٧١١هـ)- دار صادر- بيروت- الطبعة الأولى.
٢٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(ت٥٤٦هـ)- تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد- دار الكتب العلمية- لبنان- الطبعة: الأولى- ١٩٩٣م.
٢٩. مختار الصحاح- لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (ت بعد٦٦٦هـ)- مكتبة ناشرون- بيروت - ١٩٩٥ .
٣٠. معاني القرآن وإعرابه- لإبراهيم بن السري بن سهل- أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ)- تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي- ط/١- ١٤٠٨ هـ .
٣١. المعجم الوسيط- لإبراهيم مصطفى- وأحمد الزيات- وحامد عبدالقادر-ومحمد النجار- تحقيق: مجمع اللغة العربية- دار الدعوة .
٣٢. مفاتح الغيب- لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦ه)- دار الكتب العلمية- بيروت - الطبعة: الأولى - ٢٠٠٠م.
٣٣. مقاييس اللغة- لأبي الحسين أحمد بن فارس(ت ٣٩٥هـ)- تحقيق: عبدالسلام محمد هارون- دار الفكر - ١٩٧٩م .
٣٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - لأبي الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي السوري (ت٨٨٥هـ)- دار الكتب العلمية، بيروت-ط٢- ١٩٩٥م .